# (ضَوءٌ آخَر)

.شقائق، توقيعات، أجنحة، شذرات، خواطر وملامح.

**.شوقي مسلماني.**

إلى شوقي مسلماني:

**"كنتَ بيننا**

**وعندما رفعوا المائدة**

**وتفرّقَ المدعوون**

**أعادكَ صمتٌ**

**لم يكفّ يوماً**

**عن ملاطفةِ القوّة**

**تلك المتسرِّبة**

**من شقاءِ الفولاذ".**

_ بيار شلهوب.

**

رحلة

من ذئب

إلى كلب.

**(1)**

القبضةُ

شديدةُ التملّك

وقاسية.

**

تدعوهُ إلى العقل

يدعوكَ إلى عِلمِ الكلام.

**

مِن مكانٍ وفي زمان

بدأتْ قطرةُ الدمِّ تدخل في طَورٍ أوّل،

وتماماً مثلما هذا يسبح وذاك يركض

وهؤلاء يطيرون وأولئك يزحفون

وما بين الكلّ من تبادل في الأدوار،

لأنّ القسوة ولأنّ الرِقّة،

ولأنّ "اليوم الأوّل يحملُ في أحشائه اليومَ الأخير".

من مكانٍ، وفي زمانٍ، أطلّ الموتُ أوّلاً،

وهذا من سبب تسلّطه بهمجيّة.

وكلّما ابتعد.. اقترب،

وكلّما اقترب.. ابتعد.

**

حظُّه

سيئ أم حسن

إذا لا حظَّ له؟.

**

الصدفةُ

يبحثون لها عن قانون.

**

الكلُّ

خطأُ الكلّ.

**

مِنْ أينَ تبدأ؟

مِنْ حافّةٍ في الرأس؟

مِنْ فوّهةِ بركانِ الرأس؟

مِنْ مكْرِ الرأس؟

مِنْ كراماتٍ للرأس؟

مِنْ شظيّة

وفي الرأس مَن يستأصل

بدأب

زهرةَ الحياة؟.

وفي الرأس ثعلب،

وفي الرأس أخرق،

وفي الرأس خواءٌ وصداه،

وفي الرأس نصفُ الرأس،

ما خلفَ ظهرِ الرأس،

ديكُ الرأس.

أم تبدأ ممّا في الرأس

يختبئ ذعراً مِنْ كثيرِ ما يكون؟

مِنْ بكاء

أم ممّن يتردّد في أن يكون وجهاً؟

أم ممّا في الرأس

مِنْ أوبئة وكأس محطّم؟.

أمامكَ كاتم صوت،

من يفتخر أنّه بلا صوت،

من لا ينتبه أنّه بلا صوت،

مَنْ يصلّي

لكي لا يكون له صوت،

ومَنْ يقسم.. إذا صوتٌ

سيعدمه عمرَه شنقاً، صلباً، حرقاً.

وفي الطريق عيون وقحة

تبتسم، تلدغ، تتثاءب وتنام.

**

العدَمُ يعملُ

على أكثر مِن خطّة.

**

إنّه في صندوق

منذ 17 يوماً وليلة.

يا ابن آدم إفهمْ،

هو في صندوق حديد

منذ 17 يوماً وليلة.

وقبل أن يُقفِلوا عليه

أعطوه رغيفاً وتنكة ماء صدئة.

هل تعرف يا ابن آدم؟

سأذهبُ إلى السيّد المرقّط

حاملاً زجاجةً وكأسين،

سأشربُ نخبه

وأصيح كالديك:

"هذا الشبل من ذاك الأسد".

ورأسِكَ الشريف

سأرفعُ يدِي التي ترفع الكأسَ

كأنّي أرفع المشعل،

وهي اليمنى بالتأكيد،

وسأقول

بنشوة وافتخار:

"بارك الله فيك".

سأصهل،

سأسابقُ الريحَ،

سأدخل فوراً عليه،

سأرفعُ يدي اليمنى وأؤدّي التحيّة،

وسأقولُ لذاتي بصوتٍ آمر: "استرحْ"

وسأستريح،

"انصرفْ"

وسأنصرف.

سأحلمُ

أنّي أقوم بالواجب.

يا ابن آدم

هو في صندوق حديد

منذ 17 يوماً وليلة

ليتعلّم الأخلاق.

قالوا له:

"أيّها المسكين

خذِ الخبزَ والماء،

رحلتك طويلة".

ورأسِكَ الشريف

هذا كلّ ما في الأمر.

**

ليس واجبي

أن أجرّعَ وطني

كأسَ السمّ.

**

أهداف

الكاميكازي

عسكريّة.

**

مهمّة جديرة

أن تسلِّطَ ضوءاً

على ذهاب وإياب.

**

عمّا تبحث فيما تقول؟

عمّا تبحث فيما تقلق وتأرق؟

فيما ترقد وتتأمّل؟

فيما ترسم؟ فيما تغنّي؟

فيما ترقص؟ فيما تكتب؟

عمّا تبحث؟.

عمّا تبحث

عندما تدمع حزناً؟

عمّا تبحث

عندما تدمع فرحاً؟.

وعندما تشير إلى جهة،

أو عندما تكاد تختنق،

أو عندما بأعلى صوتك تضحك،

عمّا تبحث؟.

**

الطعنةُ

في الموضع ذاته

أبعد غوراً.

**

ذاتها الطعنةُ

وفي الموضع ذاته

أبعد غوراً.

**

النقصُ فادح

في نسبةِ الأوكسجين.

**

" الإنسانُ الإنسان

وحده الذي يخجل".

**

ماذا تفعل

يا سليلَ الفراغ؟.

**

ها هنا،

ماذا تفعل

يا سليلَ الفراغ؟.

**

اقتربتَ مِنْ مسألتكَ

مع الذين يرمونكَ في جبّ.

يتّهمونك

أنّكَ رأس قليل

أو موت جوّال.

أخطرُ العضّ

هو أن تعضَّ يدَك.

يرمونك

أنّك ترمي عينيك

لأسماك البورانا المفترسة.

أخطرُ العضِّ

هو أن تعضَّ يدَك،

وعندما تغمز للمخلب.

**

الوقتُ "يويو"

في يدِ الزمان،

نزولاً وصعوداً

لئلاَ يشعر بالملل.

**

وجوه ذاهلة،

الحرارةُ فوق الأربعين،

لا قطرةَ ماء واحدة،

والمشهدُ يتكرّر.

**

شِباكُ صيّاد السمك

في البحارِ العالية أو البعيدة

لا تزال ترفع هياكل وعظاماً بشريّة.

لا نفعَ بعدُ

من رفعِ تقارير

للجهات الرسميّة المعنيّة.

الحرائق في الوجوه

من أثرِ خليطِ الملح والنفط،

من أثرِ نفاقِ العالم.

لا تقلْ

إنّي أسأتُ فهمك،

إنّك لا تكره،

إنّ القلوبَ تقسو،

إنّك تطلق الرصاص فوق رؤوسِهم

لجماً للإكسودس _ الرحيل الأعظم.

قلْ فقط

هم لا يشبهونك.

**

إقتصاد زراعي،

إقتصاد صناعيّ، إقتصاد ريعي.

التنافسُ في الوحشيّة،

المالُ السياسي، الإستغلالُ الطبقيّ.

حقوقُ العمّال،

الضمانُ الصحيّ، رعاية الشيخوخة.

حقوق الطفل،

حقوقُ المرأة التي على ظهرِها مَجرَّة.

طبائعُ الإستبداد،

السابقُ، اللاحق، قلةُ الرحمة.

من لا يروعهم

أن تقسو قلوبُهم،

عبيدُ النخاسةِ، ثقوبُ القديمِ البالي.

القِيَمُ المتخثِّرة،

والوجوه التي تقطر سمّاً.

**

المنطِقُ الأزرق،

المنطِقُ الأخضر،المنطق الأحمر،

المنطق اليانع، المنطق المانع،

المنطق الكثيف، المنطق اللطيف..

المنطق المهاجر، المنطق المفترِس والمنطقُ الرمل.

**

السؤال

هو إذا المحرقة .

"The Holocaust

ذي هولوكوست" .

تعني

أنْ يحرقوا شعباً آخر؟.

**

لا فراشة

لإنعاش الطقس.

**

التشظّي

في الإتّجاهات كافّة.

**

مجنون

في الوسط

مِنَ الحيّز المأهول

بالرمل.

**

كلُّ جهة

ليست أقلّ قسوة.

**

"الوعيُ الزائف

أحدُ العراقيل بوجهِ الغد".

**

"العقلُ الغائب

لا يرى الفكرةَ الحاضرة".

**

وفي النفق

ليلٌ طويلٌ ينام.

(2)

أمّا هو

فقد اندفعتْ مظلّتُه

إلى الناحية

التي يخشاها الجميع

حيث الوحوش

والأفاعي والحشرات.

وعندَ زيح الأفق

قطار

لا يزال في سبيلِه

بعدُ يمضي.

**

العقلُ

يُسمع ويُرى،

علومُ الهندسة

جوهرة.

**

الداءُ

ليس في فنون الحروب،

الداءُ

في حرسِ القديمِ،

في حياةٍ عاشت وماتت،

ولا تزال

تمتلئ بهم وتتكاثر.

كلُّ مذاهبِ العنصريّةِ داء

وكلُّ مذاهبِ الجشعِ والقتلِ بالتجويع.

**

الحكْمُ

بيدِ الأقليّة

وعلى الأكثريّة

أن تقتنع

أنّها هي التي تحكم.

**

على هذه الديمقراطيّة

أن ترسم قواعد اللّعبة

لتفوز الأقليّة بالأكثريّة.

**

"فقيهٌ جاهل

عملُه التستّر على الجهل".

**

عندما تعلم،

عندما لا تعلم،

عندما كأنّك ذاتك

تكلِّم ذاتَك،

أو عندما تتحدّث

الى أذنٍ للإيجار،

أو عندما تحتمل بصبرٍ جميل

لساناً للإيجار.

**

كلّ ما أريد

ألاّ يكون الوقوع

بعدُ أكثر.

**

جهةٌ

عملها دفن الموتى،

جهةٌ

لا تفضّ التباساً،

جهةٌ

لا أحد له علاقة بها

ولا هي لها علاقة بأحد،

جهةٌ

لم تولَد بعد،

جهةٌ

محمّلة بأكياسِ الفراغ

والحصَاد يسجّل رقماً قياسيّاً،

الأكياسُ تكاد تتمزّق.

جهةٌ فوق وحركةٌ تحت،

جهةٌ تمرّ وقلّما يلاحظ أحد،

ومع ذلك يركبها شيطان كلّما صادفته،

وجِهةٌ

خرجتْ ولم تعد.

**

"وحدها القوّة

إمكانُ المجرم".

**

أينما تُوجّه بصرك،

في السماوات الداخليّة أو الخارجيّة،

دوائر قطرُ بعضِها أكثر عمراً مِنْ بعض.

**

محاولات

باءت كلّها بالفشل

للجمِ هذا التردّي.

**

الزبد

لهاثُ البحر.

**

المسألةُ متراكمة،

سلوكٌ لا أعتقد أنّه صنيع رِقّة،

هو صنيع آلات وخْز.

**

قومٌ

من الأقوام

يفرحهم النهيق

ويحزنُهم تغريدُ الكنار.

**

لا مكان

لمن لا رأسَ فيه.

**

لا مكان

لمن لا رأسَ

له أو معه.

**

"وقع في حفرة،

ضحكوا منه ضحكاً،

ليس هو من نوع الضحك ،

هو من نوع الضاحكين".

**

تحدّثني

عن جرحٍ في يدِك،

أنا طريح الفراش

بسبب من جرحٍ قاتل

في قلبي؟.

**

ذاتها الخَرافة

ما أكثر العقل فيها

وذاته العقل

ما أكثر الخرافة فيه.

**

المدرِكون عملُهم أن يشيروا بالنصح،

ولا يحرّك ساكناً مثل الذي ينظر بألم.

**

"جورج حبش

ورقةُ السنديان الناعمة والجارحة،

أوّلُ الشرر، أوّلُ اللهب،

الفكرةُ التي تلت النكبة الفلسطينيّة،

سار على خطى السيّد المسيح

في أرضِ الشريعةِ وبحرِ الجليل،

كان عذباً كأنهار بلاده،

علقماً كناقفِ الحنظل في قفارِ اللدّ".

قال: "لا عذْر لمن أدرك الفكرةَ وتخلّى عنها"،

وعن عليّ: "لا تستوحشوا طريقَ الحقِّ لقلّةِ السائرين فيه".

جورج حبش هو القائل :

"تستطيع طائراتُ العدوّ

أن تقصف مدننا ومخيّماتنا،

أن تقتلَ الأطفالَ والشيوخَ والنساء،

ولكنّها لن تستطيع أن تقتل إرادة المواجهة فينا".

وقال: "أنا مسيحيّ المولد،

إسلاميّ التربية، إشتراكيّ الفكر".

لا إخال يُلفظ إسم الحكيم

إلاّ مشفوعاً بالإحترام والبيلسان،

ببيّارات البرتقال والزيتون

وبالثوريين "الذين لا يموتون أبداً".

**

الغدُ يعبر

بمقدارِ العقلِ.

**

الشرارةُ

حظُّها عند ذروةِ جبلِ المعارِف،

تاجٌ على هامةِ جليلِ التراكم

وجليلِ النوع.

**

الرأسُ

كما أراه

جهةٌ للإستعداد،

لتسجيلِ هيئةِ الحقيقي

وليس الذي يعبر.

**

جهة

تنظر بعينين ذات قدرة

على القطْعِ والوصْل،

وعندها البيارق

والصنوج والطبول.

**

ليست المسألة في التكافوء،

المسألة هي في شرف المحاولة.

**

يكون ذاته ويكون غيره،

يكون مصيباً ويكون مخطئاً،

يكون جريئاً ويكون خانعاً،

يكون المودّة، الجفاء، الرائي، القمّة،

الآهل، المهجور،

الصوت، الصدى.. ويمضي.

**

كأنّما ليقعَ الآخرُ

في فخّ الحيرةِ أيضاً.

**

انقضتْ ملايينُ السنين،

كانت الأرضُ كلّها ملعبه،

كان الجسم ضخماً والفكّ عظيماً،

ضاعَ صوتُه _ امّحت خطوته،

وها بعد منه فقط حجر.

**

تلك محاولةٌ،

المشهدُ غيره في كلِّ حقبة

والكسور بعدُ أكثر في رأسِ الدمّ.

**

"ولكائناتٍ صغيرةٍ مثلنا

احتمالُ هذه الشساعة بالحبّ فقط".

(3)

الناحيةُ أنحاء،

منها التي ولِدت

ومنها التي لم تولد بعد.

**

أحثُّك

لكي تعترف

بجريمةِ إبادةِ اليهود الأوروبيين،

منهم، مثالاً، يهود غيتو وارسو،

فلا تعود إلى عملكَ المشين بعدُ،

ولكنّ الغريب في نظام عقلك

الذي هو صنيع نظامِكَ اللصّ

لن يهدأ لك بال ولن يهنأ لك حال

إلاّ إذا أوغلتَ أكثر في الدمّ،

تعترف بجريمة

لتدبِّر لجريمة ثانية،

أليس هذا ما جرى مع فلسطيني غيتو غزّة

أيّامَ أعيادِ الميلاد ورأسِ السنة 2008 _ 2009؟.

ما هو الفارق

بين الموت بالغاز

والموت بالفسفور الأبيض؟.

**

أوّل ما تخرج سترى الوجه،

أوّل ما تخرج سترى وجه الوجه.

**

كلُّ جهة

هي جهةُ خرائب.

خطأ

يتأكّد يوميّاً.

خطأ

هذه الأنياب والمخالب.

لم يكن من يستدرك،

ميْت مَن لا يستدرك.

لا شلاّل فضّة، لا غزال،

لا ندى _ شامة _ على خدّ وردة،

ولا يد من ريش النعام.

**

لم ينس "ألن ركمان"

ماذا حصل سنةَ 2003 في رفح – غزّة،

بعينيه رأى لا بعيني أحد غيره،

وبأذنيه سمعَ لا بأذني أحد غيره،

وكانت "راشيل كوري"،

بشجرتها الباسقة، تقول: "لا".

نحن في القرن الحادي والعشرين،

وأيضاً يُهدَم دمُ "راشيل كوري" وتُجرَفُ أحلام؟.

لا،

لم ينس

"ألن ركمان"

ولن.

**

أنتَ لا تعرف من أنا

وأنا سمعتُ عنكَ فقط،

أنت تجلس القرفصاء، وجهك محطَّم،

والآخر سلاحُه عليك.

لا ، لم أكن حبيبك

وأبداً لم أكن سياجك،

بعضُ الآخر لم يكن يجروء

على دخول مسرح

أو مسبح أو سينما أو مطعم

فيه الآخر الآخر،

كان يرث الرملَ،

وذاتها "كونداليزا رايس"

تعوم في بحرِ دمِك،

تقطّع طوالَ الأسبوع في شراييناك،

ويوم الأحد تعزف على "بيانو".

**

"مصّاصو الدماء قلّة استطاعت

أن تكوّن شبكات نفوذٍ ونفوذاً مشتركاً".

**

صدفةٌ زئيرٌ وصدفةٌ صدأ،

صدفةٌ شهيقٌ وزفيرٌ وصدفةٌ زفيرٌ وشهيق،

صدفةٌ نعيق، صدفةٌ نقيق، صدفةٌ تحترق

وصدفةٌ رماد.

**

تخرج

مِنْ كمِّ عمرِك،

جميعُنا ليتذكّرَك

وجميعُنا لينساك،

ستقول

وستصمت

وسنقول

وسنصمت،

بيننا حيِّز لأمانيك

وجميعُنا مثلك،

تسمع غناءنا

ونسمع غناءك،

حيث تحلّ ستضيء،

ستكون فسيحاً

وقاصداً كلّ جهة،

سترى الحافّةَ،

وسترى جهةَ الغد.

**

جميعُهم نظرٌ أبعد،

قائمون على خدمة تائه واسترضائه،

منهم من صار مروحة ملطِّفاً من سطوةِ الحرّ،

منهم من صار خزانة لتحفظ أشياءه،

منهم من صار نقوشاً تُذكِّرُه أنّ الحياة فنّ،

منهم للمرور، للطيور، للسماء الثمينة،

منهم من صار هاتفاً لئلاّ يشعر بالعزلة،

ومنهم من صار سريراً

يسهر لراحته من انكسار ظهرِه.

**

ذهاب وإياب،

كلمة عابرة وكلمة مقيمة،

الأرض تدور والمغزل يدور،

ذهاب آخر وإياب آخر.

**

فقدانُ الثقة

هو موتٌ آخر.

**

فقدانُ الثقة

هو الموت الآخر.

**

"لا قيمة للقلم إذا لم يعبّر عن وجع الناس،

لا قيمة للقلم إذا لم يكن أعلى من صوتِ النفاق".

**

صديقُك

هو الذي لا يحوجك للتمويه

في حديثِك.

**

ليس مِنْهم بعدُ غير صورة،

العنوانُ العريض في هذه الصحيفة

يؤكِّدُ فيما ينفي،

يأخذ بيدِ رأسي إلى عالمٍ آخر

ويقول: "كلّ شيء لونه أبيض".

أين هو المحاطُ بالعويل؟

أين هو المجذوع الأنف؟ المصلوم الأذنين؟

أين هو المسمول العينين؟

ذاته

برجُ الهاوية؟.

ليس بعد غير صورة

مهما أفعل في هذه الساعة

المتأخِّرةِ مِنَ الليل.

**

"يا أهل فوق

هل السماء عندكم ماطرة؟

عندنا تحت ولا قطرة".

**

إذا الطائفة

بتصرّف مرابي

هي أكثر طواعيّة

وأكثر هولاً.

**

الغراب

عند أعلى

برجِ الهاوية.

**

الرسّام يرسم

وبعدَ وقت سيفهمون

إنّه سبقهم إلى أصل الحكاية

التي لها حكاية لها حكاية.

**

الإنسانُ الإنسان

هو الذي يوحِّد بين متباعدَين،

الذي هو ملتقى روافدِ الجهات.

**

وجهٌ مرٌّ ووجهٌ سكّر،

وجهٌ مبتسِم ووجهٌ سمّ.

**

يراكَ وتراه،

يُحاصرك وتحاصره،

تدفعه ويدفعك، يُفرِدُك وتُفرِدُه،

ويقتل فيك وتقتل فيه.

**

الوقتُ

ليس بعدُ هو ذاته.

الضوء

ليس بعدُ هو ذاته.

القصص

والحكايات

كلّها رميم.

**

هذا يزحف وذاك يزحف،

حاصَرُوا بركةَ الماء حصارَ الدائرة،

تراكموا عليها حاجبين عنها الشمس،

زفرتْ آخِرَ أنفاسها، أسنتْ،

جلبوا الحجارة، وهي في مكانِها أغلقوا عليها.

**

الحصار

أم أنا الدائرة؟.

\\

حتى

في الأعماق السحيقة،

حيث العتمة الموحشة،

أنامل رقيقة وعيون طفلة

وضوءٌ آخر

ينبض.

_ "ضوء آخر" \ الطبعة الأولى سنة 2015 \ سيدني ـ دار الفهد للنشر والتوزيع.

ـ "كلّ ما بين مزدوجين منقول أو مترجم وبالحاليتن هو بتصرّف".

Shawkimoselmani1957@gmail.com